هنرى فورد
تاريخ حياته

ألف هذا الكتاب وليام آدمز سيمونز

وعربه على إسلام باشا.

قصة طويلة شيقة، قصة التجربة التى مر، بها هنرى فورد متنقلا بين مراحل مختلفة حافلة بالخطأ والصواب حتى وصل إلى فكرة السيارة التى تسير بالمحرك ذى الاحتراق الداخلى..

قصة تصلح نموذجا للصبر... والإرادة.. والإصرار.

نبدأ من الطفولة حيث أقام هنرى بحجرة نومه رفا ليستخدمه «بنكا» لأعماله اليدوية ليلا بعد العشاء، إذ يشتغل بإصلاح ساعات الحائط ثم الساعات الصغيرة فيما بعد، مستعملا أبسط الآلات التى فى متناول يده، محولا مسمارا عاديا إلى مفتاح «قلاووظ» ومتخذا قطعة معدنية بسيطة من مشد قديم «ملقاطا» ، وحتى إبرة الخياطة استعملت ضمن آلاته الدقيقة.

وكان فورد يعمد إلى فك الساعات وإعادة تركيب قطعها بنفسه ليعرف كيف تدور ولم يمض وقت طويل حتى ذاعت شهرته أو مهارته.

وكان هنرى يعاون أمه فى أعمال البيت كغيره من أبناء الريف ويعيد الأبقار إلى الدار ليلا ويساعد فى حلبها، ويحضر الوقود اللازم للمطبخ، ويتعلم كيف يسرج الخيل، ولما بلغ الثانية عشرة من عمره، استطاع أن يقوم بعملية حرث الأرض وغيرها من الأعمال التى يزاولها عادة الرجال فى الحقل.

وجمع بين السباحة فى النهر والانزلاق على الجليد.

ولما بلغ السادسة عشرة من عمره بحث عن عمل ولكنه لم يلبث أن تركه لحنق العمال القدماء عليه بسبب تفوقه الواضح عليهم إذ كان ينجز فى نصف ساعة ما كان يقتضيهم عادة خمس ساعات كاملة.

والتحق بعد ذلك بمسبك ومصنع بمرتب ضئيل فاضطر أن يجد عملا إضافيا ليغطى حاجاته الضرورية فكان يعمل ليلا بإصلاح الساعات هوايته المبكرة.

وأتيح له أن يطلع على مجلة اسمها «دنيا العلوم» بها وصف اختراع الدكتور نيكولس أوتو الألمانى لمحرك يدور بالاحتراق الداخلى للبترول وكان لهذا المقال العلمى أثر كبير فى تفكيره... فلم يتردد «فورد» فى ترك عمله ليلتحق بعمل جديد لدى شركة دراى دوك انجينز لتتاح له فرصة تعلم الميكانيكا..

وفى عامين تعلم من أسرار الميكانيكا ما يحذقه الصانع الميكانيكى فى أعوام.

مضى على مغادرة هنرى مزرعة والده ثلاث سنوات فإذا بوالده يستدعيه ليعاونه فى أعمال الزراعة لصعوبة توفر الأيدى العاملة فلم يملك إلا الاستجابة.

وإذ عاد إلى الريف، حاول صنع عربة لنقل المحصولات تسير بلا جياد. كان يريد تسييرها بآلة بخارية. وصنع بنفسه وبوسائله المحدودة جميع القطع اللازمة لذلك ولكنه فشل.

وكان حديث عهد بالزواج فصارح العروس وكانا قد استقرا فى بيت ريفى مريح أعده بنفسه، بضرورة الانتقال إلى «ديترويت» لحاجته إلى عدد وآلات وإلى المال لشراء ما يلزم لعمل التجارب. وافقت زوجته التى كانت تقدر طموحه.

وفى «ديترويت» التحق بشركة اديسون مهندسا ميكانيكا.

وفى التسعينات من القرن التاسع عشر حاول فورد صناعة سيارته الأولى... وكلفته المحاولة جميع موارد أسرته الجديدة باستثناء ضروريات الحياة. كان يعمل ليلا تحت مظلة أقامها بمؤخرة بيته... ويعمل نهارا بشركة اديسون الذى كان يشجعه حتى عزا إليه الفضل فى سرعه تحقيق فكرة السيارة كما نعرفها اليوم وتسير بالمحرك ذى الاحتراق الداخلى.

أعاد فورد تجربة سيارته الأولى مرارا وكان يجتاز بها الشوارع والطرقات ويتركها بالشارع ويختفى وراء الأشجار يسترق السمع ويعرف ماذا يقول الناس عن سيارته ليقف على مواطن الضعف فيها. ثم باعها وأخذ يصنع سيارته الثانية.

واستمرت تجاربه حتى سجل سبعة عشر اختراعا خاصا بمختلف قطع السيارة مما لا يمكن لأى شركة أن تدخلها فى صنع سيارتها.

وخرجت إلى الوجود شركة فورد للسيارات وتدفق المال أنهارا ولكن الثراء السريع لم يغير من حياة فورد العائلية شيئا فقد احتفظ وزوجته بمستوى معيشتهما السابق فترة طويلة وبقيا منذ تأسيس الشركة سنة ١٩٠٣ بمنزلهما إلى سنة ١٩٠٨ حيث انتقلا إلى منزل أكبر وأوفى.

واتسعت دائرة معارفهما ولكنهما احتفظا بأصدقائهما القدامى.

وكان لفورد فلسفة خاصة فى الصناعة والإنتاج تتلخص فى :

- الإنتاج الكبير مع التحسين المستمر والربح القليل على كل سيارة.
- براعة التصريف.
- عدم الاقتراض ودفع فوائد.
- عدم البذخ والتعلق بالمظهريات فقد كان يتفادى دفع المرتبات المرهقة لمن يقولون عنهم (النجوم اللامعة) لرجال الأعمال كما لا يكترث بإقامة الحفلات.
- حسن الإدارة فإن رداءة الإدارة يعرقل سير الإنتاج.
- تحسين حالة العامل ورفع مستواه مع عدم رفع ثمن ما ينتجه بل على العكس حاول تخفيض ثمن السلعة التى ينتجها هذا العامل وكانت خطوته هذه إقداما جريئا وثورة حقيقية فى ميدان الصناعة والأجور مما وضع فورد فى رأس قائمة رجال الأعمال وشغلت به الصحافة الأمريكية جميعها واحتلت أخباره صفحاتها الأولى.

أهدى فورد مستشفى إلى مدينة «ديترويت» التى شهدت نجاحه.

وعندما قامت الحرب العالمية الأولى دعا فورد إلى التفاهم بالطرق السلمية وقد أنفق من ماله الخاص ٤٠٠,٠٠ ريال على حملته للسلام.

وعندما اشتركت الولايات المتحدة فى هذه الحرب إلى جانب الحلفاء، أبلغ حكومته أنه يضع نفسه ومصانعه تحت صرف الدولة وكان لمجهوده أثر طيب فى سير الحرب وقدم ما طلب إليه تقديمه حتى السفن التى لم يكن له خبرة بانتاجها فقد لبى داعى الوطنية وأقام سريعا مصنعا هائلا على مساحة ١٣ فدانا فأخرج عددا كبيرا من السفن حسب المواصفات التى قدمتها الحكومة مستفيدا من خبرته فى بناء السيارات.

وفى حياة فورد نماذج للأسوة يعلو ويغلو، بها، الاقتداء فحين أعيد انتخاب المستر ولسون لرياسة الجمهورية بعد معركة انتخابية حامية الوطيس، وكان فورد من أنصار ولسون الديمقراطى ولو أنه جمهورى كآبائه وسائر أفراد أسرته. وكان يقول إنه جمهورى بالوراثة، كما أن له أذنين.... وكان منصرفا عن ميدان السياسة عازفا عزوفا شديدا وعلى الرغم من أن الحزب

الجمهورى يعتبر فورد إحدى دعائمة وأنه على رأس منظمتهم إلا أن هذا لم يحجب رأيه الذى يعتقده صالحا للوطن ايثارا لمصلحة بلده على الحزبية.

كان فورد فى أزمات ارتفاع الأسعار وانتشار الكساد يعالج الأوضاع بزيادة الانتاج وامتصاص البطالة بتشغيل الأيدى العاطلة ومحاربة الغلاء بزيادة العرض على الطلب.

كان فورد يستخدم سنويا ٥٠٠,٠٠٠ عربة سكة حديد لنقل بضاعته، ويدفع أجرا لذلك ١٥٠ مائة وخمسين مليون من الريالات. وكان يحتاج فى صناعته إلى ربع كمية الزجاج الناتج بالولايات المتحدة، ويستعمل يوميا بمصانعه مليون قدم من الأخشاب... كما بلغت الأجور السنوية التى يدفعها ٢٥٠ مليون ريال. وكان يهدف من وراء هذا التوسع والتنوع والتحسين والاتقان إلى مصلحة عامة الناس حتى هبط ثمن سيارة فورد فى ذلك الوقت إلى ٢٦٠ ريالا أو ٢٩٠ ريالا تبعا لنموذج السيارة.

لقد أقال فورد عثرة المصارف المالية إبان محنتها ولم يسترد ريالا واحدا من ٦٠ مليون ريال مودعة منه ومن مؤسساته فى المصارف، بل بادر بإيداع أموال أخرى فى بعض المصارف التى يعاملها عماله ومستخدموه لكى تستطيع تلبية طلباتهم وتصرف إليهم ما يحتاجون إليه من أموالهم المودعة فيها.

كان فورد يمقت التصدق بماله على الناس لاعتقاده أن فى التصدق مسا وايلاما للكرامة الإنسانية وجرحا للعزة فقد عمد إلى التوسع فى أعماله الزراعية ليعطى الفرصة لعدد كبير جدا من العمال العاطلين، ليشتغلوا بالحقول بأجر كبير هو خمسة ريالات يوميا، كما مضى فى إنتاج قطع غيار ونحوها بمصانعه بغير حاجة إليها، وحرم على إدارته فصل عامل واحد، فتكدست المصنوعات وملأت المخازن، كما افتتح المخازن التعاونية لبيع حاجات المعيشة لطائفة العمال المختلفين على أن يؤدوا الثمن أقساطا ولأول مرة خرج فورد عن مبدئه وهو البيع بالنقد وائتمن العمال بغير ضمان غير كلمة الشرف... وهكذا لجأ فورد آخر الأمر إلى التصدق على المحتاجين ولكن بطريقته الخاصة، وهى توفير العمل لهم لكسب قوتهم، ولو أن هذه الأعمال لاتدر ربحا ما، بل عادت ببعض الخسائر...

كان فورد يرى ضرورة محو التصدق من العالم محافظة على الكرامة الإنسانية أسوة بالرق والاستعباد وذلك بتوفير العمل الشريف لكل إنسان.

سأل بعضهم فورد: هل خسرت فى العام الماضى ٧٥ مليون ريال؟ فأجاب لتوه بأنه لم يخسرها، ولكنه أنفق هذا المال الذى دفع أجورا للعمال وضرائب للدولة، وهذه لاتعد خسارة كما لو كان أضاعه فى المضاربات ببورصة الأوراق المالية.

وسئل المستر فورد عن رأيه فى اقتسام الثروات فأجاب بأنها فكرة غير عملية وأن مقترحيها يؤمنون فى أنفسهم بعدم جدية إقتراحهم واستحالة تنفيذه، وهم غير مخلصين فيما يدعون إليه، لأن المال ليس ثروة وإنما الثروة الحقيقية هى العمل والإنتاج، ولا بد من التعاون للوصول إلى الثروة من العمل والإنتاج، والتعاون يتم بتبادل المنفعة.

ومن مظاهر مستر فورد لعماله أنه كان يحتفظ بهم على الرغم من تقدمهم فى السن وهبوط قدرتهم على العمل فيعهد إلى المسنين بأعمال بسيطة هينة وينالون أجورهم كاملة. وكان بمؤسسته عدد ضخم من العمال تجاوزت أعمارهم الستين والسبعين ومنهم من تجاوز الثمانين.

لايذهب العرف بين الله والناس فعندما بلغ فورد، بدوره، الخامسة والسبعين من سنيه ألف مواطنوه لجانا للاحتفال بالرجل العظيم علم الصناعة الضخمة فى العالم وأغنى أغنيائه والذى حافظ على البساطة التامة فى حياته الخاصة.

أقيمت حفلات عديدة متنوعة للأطفال والكبار، ورفعت الأعلام الوطنية، وألقيت الخطب ومنها خطبة رسمية لعمدة ديترويت الذى وصف فورد بأنه مواطن ديترويت العظيم. واشترك فى الحفلات أقطاب صناعة السيارات المنافسون لفورد، كما حضر المستر دو رئيس فورد فى شبابه عندما كان يعمل بمؤسسة أديسون... وكان المستر فورد فى أحسن حالاته نشطا يلعب مع الأطفال فى حفلتهم، مبتهجا بحفاوة مواطنيه به وإكرامهم له معتزا بذلك يبادل الجميع الود والحب والإخاء.

أخرجت مصانع فورد السيارة المتممة للمليون السابع والعشرين وبلغ عدد عماله ١٠٠,٠٠٠ عامل....

وما كان هذا النجاح يمر بدون شرزمة تنفس عليه فتآمر حساده، وأعلنوا عليه حربا رخيصة سلاحها الكذب والافتراء والإساءة إلى سمعته بكل الوسائل.

لم يحرك فورد ساكنا وازدرى هذه الحملات الكاذبة واثقا من سطوع الحقيقة عاجلا أو آجلا بغير حاجة إلى الاكتراث بها ومضى فى طريقه الذى رسمه لنفسه... وكم كانت دهشة الناس

كبيرة، عندما قامت إحدى المجلات باستفتاء عام فيمن هو أعظم رجال الصناعة فى عصرنا هذا وأكثرهم حبا للعمال فنال فورد أغلبية ساحقة بلغت ٧٣٪ من الأصوات، متفوقا حتى على رئيس اتحاد العمال نفسه.

ليت أغنياء مصر والعالم العربى يقرأون هذا الكتاب.

obeikandl.com